الأخلاق كقيم استهلاكية عند زيجمونت باومان

Ethics as consumer values at *Zygmunt Bauman*

L'éthique comme valeurs de consommation selon *Zygmunt Baumann*

طالبة دكتوراه: عفاف جدراوي

قسم الفلسفة، الحاج لخضر –باتنة 01

تاريخ الإرسال: 14-05-2020 - تاريخ القبول: 13-01-2021 - تاريخ النشر: 27-02-2023

ملخص

لقد غير المشروع الحداثي موقع الانسان داخل المنظومة الأنطولوجية. فبعدما كان خاضعا لسلطة الكنيسة، أصبح سيدا على الكون، وصار بذلك مرجعا صلبا لكل القيم الرامية لتحقيق جنة الخلد في الأرض، ولكن ما لبثت هذه القيم أن انحرفت عن مسارها الأول لتدخل في طورها الثاني المتمثل في السيولة بتعبير "زيجمونت باومان" وهذا راجع إلى التقدم التكنولوجي الهائل وسيادة منطق المتلازمة الاستهلاكية، أين حول الانسان إلى مجرد سلعة داخل الكون، وهذا ما أنعكس سلبا على نفسية الانسان المعاصر الذي لم يعد يركن لقيم الثبات، بل يسير وفق القيم الاخلاقية- البراغماتية - الاستهلاكية، التي تتسم بالمرونة والسيولة والمتنصلة من أي رابط ميتافيزيقي لاهوتي ووهذا ما لاحظه عالم الاجتماع البولندي "زيجمونت باومان"، أين راح يقدم مساءلة نقدية لهذه القيم الأخلاقية المتفشية في المجتمع الراهن، محاولا ايجاد مخارج لذلك، وهنا مثار الاشكالية :هل للأخلاق فرصة في العالم الاستهلاكي ؟ كيف كانت قراءة زيجمونت باومن للقيم الاخلاقية في ظل عصر الحداثة السائلة؟

الكلمات الدالة: الإنسان المعاصر؛ الأخلاق؛ الحداثة السائلة؛ زيجمونت باومان.

Abstract

The modernist project changed the position of man within the ontological system. After he was subject to the authority of the Church, he became the master of the universe, and by this he became a solid reference for all values aimed at achieving the-paradise of eternity on earth, but these values soon deviated from their first path to enter into its second phase, which is liquidity, in the expression *Zygmaunt Bauman*. This is due to the tremendous technological progress and the prevalence of the logic of the consumer syndrome, where man is turned into a commodity within the universe. It operates according to the values of ethical, pragmatic consumerism, which is characterized by flexibility, liquidity and disconnection from any theological metaphysical bond, and this is noted by the Polish sociologist *Zygmunt Bauman*, where he offered critical accountability for these rampant moral

values in current society, trying to find exits for that, and here is the problem: Does ethics have a chance in the consumer world? How was *Zygmunt Baumen's* reading of moral values under the liquid modern era?
Keywords: contemporary man; morality; Liquid modernity; *Zygmunt Bauman.*

Résumé

Le projet moderniste a changé la position de l'homme dans le système ontologique. Après avoir été soumis à l'autorité de l'Église, il est devenu l'homme est devenu le maître de l'univers, et par là une référence solide pour toutes les valeurs visant à atteindre le paradis immortel sur terre. Mais ces valeurs ont rapidement dévié de leur première voie pour entrer, selon *Zygmunt Bauman,* dans une phase de modernité dominée par les valeurs de liquidité provoquée par l'énorme progrès technologique et par la prédominance de la logique du consumérisme. L'homme est devenu ainsi en une simple marchandise et n'adhère plus aux valeurs de stabilité et agit désormais selon les valeurs de la morale pragmatisme - consommation Il se caractérise par la flexibilité, la fluidité et la déconnexion de tout lien métaphysique théologique, ce qu'a observé le sociologue polonais *Zygmunt Bauman* dans son questionnement critique pour ces valeurs morales ce qui l'a amené rechercher des issues à cette crise. Notre contribution à l'étude de ces questions est une réponse à deux principales interrogations : Quelle est la place de l'éthique dans la société de consommation ? Quelle est la lecture de *Zygmunt Bauman* sur les valeurs morales sous l'ère des valeurs de la liquidité ?

Mots-clés: homme contemporain; morale; modernité liquide; *Zygmunt Bauman*.

مقدمة

إن التحولات التي طرأت على المجتمع المعاصر عقب أفول المشروع الحداثي، توحي بانتصار العقلانية التقنو علمية التي حولت كل شيء إلى مجرد سلعة، وهذا ما أنتج لنا قيما متجردة من أي طابع روحي ومتنصلة من أي بعد لاهوتي ميتافيزيقي، وتلقى السمع في المقابل لمنطق الاستهلاك - اللذة -والمنفعة الفورية وهذا الوضع الراهن ما هو إلا نتيجة حتمية لقلب سلم النظام التراتبي للقيم من طرف إنسان الحداثة. فبعدما كان الله يمد الإنسان بمعاني القيم الروحية والمقاصد الأخلاقية، فإنه مع المسار الأول للمنظومة الحداثية تم تغييب وتهميش الإله، وصار الإنسان في المقابل سيدا للكون، وتمكنت الذات البشرية من تحقيق سيادتها وفاعليتها عبر ثلاثة مستويات: الأول المعرفي (الابستمولوجي)، والثاني الوجودي (الأنطولوجي)، والثالث الأخلاقي (الإتيقي).

وبالجملة فإن الإنسان الحداثي شكل الحجر الأساس داخل المنظومة الحداثية، كونه الملهم الوحيد لكل شيء ومصدر كل القيم الرامية لتحقيق السعادة الأرضية بعيدا عن

السعادة الآخروية، بهذا فقد سقطت القيم الأخلاقية داخل التاريخ وصار الإنسان خارج التاريخ؛ أي إله بديل عن الإله، ففقدت الأخلاق سموها المتعالي وانحرفت عن أصلها الأول المتجاوز لترتبط بما هو ذاتي شخصي فردي ومع التطور السريع لوسائل التكنولوجيا وسيطرت العقلانية الرقمية التي فرضت على الإنسانية منطق الاستهلاك الذي عزز الجانب الفردي للأخلاق كل ذلك جعل القيم الأخلاقية ذات بعد ضيق يرتهن وجودها بوجود الشخص الذي يلهث وراء قيم الاشباع الفوري والتي علامتها البارزة المرونة والسيولة بحيث تتأقلم مع كل المستجدات الراهنة .

هذا ما نبه إليه الفيلسوف البولندي الأصل الإنجليزي الجنسية "زيجمونت باومان[1] أين راح يقدم مساءلة نقدية ويقدم تقارير من أرض المعركة كما يقول إزاء هذه القيم التي تفشت في المجتمعات المعاصرة، وهي الفترة التي يسميها أغلب الفلاسفة بعصر ما بعد الحداثة ويصفها "هو" بالحداثة السائلة، كون السيولة قد تسربت إلى كل مناحي الحياة الإنسانية بما في ذلك القيم الأخلاقية، وقد تعززت أكثر مع ظاهرة الكوكبية (العولمة) فلم يعد هنالك قيم تخضع لمعايير الثبات ومنطق السكون، فهي في حركية دائمة وسيولة متواصلة دون نقطة ارتكازية ومن هنا تكون **إشكالية المقال**: بأي معنى نتحدث عن القيم الأخلاقية في ظل عالم معولم ؟ وهل للأخلاق فرصة في عالم الاستهلاك؟ كيف كانت قراءة زيجمونت باومان للقيم الأخلاقية في ظل السيولة الجارفة؟

1. الحداثة و انقلاب القيم

لقد أنتج الخطاب الحداثي الكثير من القيم التي حاولت أن تؤسس لمنظومة جديدة مناهضة للمنظومة اللاهوتية التي طغت ببعض ممارساتها على المجتمعات الغربية سابقا، وبهذا فقد رفعت الحداثة على العالم ستار السحر الذي كان يكسوها؛ ففك السحر حسب عبارة "ماكس فيبر"Max Weber (1864-1920) يقصد من ورائها: "تفكيك التصورات الدينية للعالم تفكيكا أوجد في أوربا ثقافة لا دينية هو عملية عقلانية". (هابرماس،07) فعملية التفكيك التي قام بها المشروع الحداثي الغربي، إنّما تروم من

1. زيجمونت باومان *Zygmunt Bauman*(1925-2017) عالم اجتماع بولندي الأصل، فمنذ عام 1971 استقر في إنجلترا بعد ما تم طرده من بولندا من قبل حملة معاداة الساميّة بترتيب من الحكومة الشيوعية التي كان يؤديها مسبقاً. بروفسور علم الاجتماع في جامعة ليدز (ومنذ عام 1990م أستاذ متقاعد) عُرف باومان بسبب تحليلاته للعلاقة بين الحداثة والهولوكوست، وأيضاً ما يتعلق بالمذهبية المادية (الاستهلاكية) لما بعد الحداثة.

ورائها إلى اذابت كل النظّم البالية والواهنة التي يعلوها الصدأ، لتعلن في المقابل تأسيس نظّم أكثر صلابة ولهذا يرى "باومان" بأن الحداثة في مراحلها الأولى تميزت عن العهود السابقة "بالتحديث الوسواسي القهري، وأن التحديث يعني التمييع والاذابة والصهر، ولكن لم يكن الشغل الشاغل للعقل الحديث في بداية الأمر تقنية الصهر (فيبدو أن البنى الصلبة في ظاهر الأمر انصهرت لافتقارها إلى المقدرة على الثبات)، بل كان شغله الشاغل تصميم القوالب التي كان سيصيب فيها المعدن المنصهر وتقنية الحفاظ على هذا التصميم في تلك القوالب". (باومان، 2016، ص 29)

إن الأفكار التي نادى بها فلاسفة الحداثة قد لقيت صدى داخل الواقع، فغيرت من الطبيعة التركيبة -الثقافية والاجتماعية -التي كانت رائجة من قبل الفكر القرسطي"، فقد كان العالم الحديث تقويضا للأسس المؤسسات التقليدية للكنسية والدولة الملكية وللإنتاج الحرفي وسماته الإقليمية لأنها كانت أكثر قوة ابتكارية وغناء، ولأنها تحسن من خصائص الأشياء وتنظم موارد أكبر، وتبدو أكثر عقلانية" (كليجز، بيرك، دورسون وآخرون، 2018، ص48). ويرجع "زيجمونت باومان" مشروع التغيير الحداثي وميلاد القيم الحداثية إلى عصر النهضة الأوربية، أين تبلورت فيها جملة الطموحات والوعود الحداثية، وقد لخصها بيكو ديلا ميراندولا Picodella Mirandolaعام 1486م وكان حينها في الثالثة والعشرون من عمره وقد لخصها كما ينبغي أن يتوقع من نبي عصر جديد لم يظهر بعد وإن كان يختمر وسيتجمع قواه فيما وراء الأفق وقد سرد "بيكو" قائمة من تلك الوعود في مؤلفه الشهير "خطاب" oration الذي ألهم الطموحات الكبرى لعصر النهضة فساعد فيما بعد بطريقة غير مباشرة في ميلاد الروح الحداثية. (باومان، بوردوني،2018، ص 71)

فعبقرية "بيكو" التي سادت في عصر النهضة الأوربية، إنما توحي بمركزية الإنسان داخل الخطاب الأوروبي وإمكانية قدرته في صنع مصيره في التاريخ، وهذا نظرا لامتلاكه الحرية الكاملة، مما ساعد بنسبة كبيرة كما يقول "باومان" في :"خلق الذات وتوكيد الذات، ويعني ذلك أن البشر أحرار في اختيار طريقتهم المفضلة في الوجود في العالم " (باومان، بوردوني، 2018، 72) وبهذا يصبح الإنسان هو مرجعية ذاته، فلاوجود لشيء يتجاوزه ويتعالى عليه، وهذا هو جوهر النزعة الهيومانية الإنسانية التي تجعل الانسان حجر الزاوية في صنع كل القيم بما في ذلك القيم الأخلاقية، وفي تحديد مساره الخاص داخل الوجود فهو

يستطيع أن يكون كما يقول "لوك فيري" :"طيبا أو قبيحا، وأن يختار الخير والشر ...و هكذا فإن رؤية أخلاقية جديدة للعالم، إيتقا خاصة بحرية الاختيار ترسم أفق هذا التعريف الجديد للإنسان." (فيري، كبلياي، 2015، ص 159).

بلغت الروح الحداثية قمتها وذروتها مع القرن الثامن عشر الذي يمثل عصر النقد وقرن العقل بامتياز أو كما يسميه أغلب الفلاسفة بعصر الأنوار، أين تمكن فلاسفتها من تنوير الناس وهديهم إلى انتاج جملة من القيم كالسعادة والتقدم والتسامح والديمقراطية والمساواة وغيرها من القيم التي وعدت البشرية بتأسيس جنة النعيم الأرضي وهنا يرى باومان "أن مهمة التنوير تتمثل في تنوير العامة وتثقيفهم وبالتالي فهدف التنوير ليس خلق إنسان جديد وإنما انسان مجهز بمرجعيات جديدة ومعايير مرنة، وبسيطة بدلا من القواعد المترسخة التي فرضتها من قبل الجماعات التقليدية من المهد إلى اللحد". (باومان، 2018، ص 53)

ولكن في نظر باومان هذه القيم التي أنتجها الخطاب الحداثي سرعان ما انحرفت عن مسارها الأول وفقدت صلابتها الأولى لأنها لم تكن صلبة بما فيه الكفاية، وبالتالي سالت وذابت وانتهت إلى واقع أنطولوجي مأزوم يقول في عبارة رصينة ودقيقة له واصفا ذلك: "لم يكن السبب الأصلي وراء الذوبان المراكز الصلبة الراسخة مجرد عداوة للصلابة بحد ذاتها، بل حالة من عدم الرضا بدرجة من الصلابة التي لم تتسم بها المركز الصلبة المتوارثة، وبكل وضوح ومن دون مواربة، لم تكن المركز الصلبة المتوارثة صلبة بما ينبغي". (باومان، 2016، ص 27)

فالأزمة التي انتهت إليها المنظومة الحداثية الغربية إنّما هي علامة على تشظي قيم التنوير وتصدع مشروع الحداثة، وانهيار الحقائق الكلية الثابتة، وأفول السرديات الكبرى لتتحول الى سرديات صغرى تتمحور حول الذات الإنسانية، هذا ما ألمح إليه جان فرانسوا ليوتار Jean-François Lyotard(1924-1998) الذي أكد على انهيار الأقطاب الكبرى القديمة التي كانت رائجة في العصر الحداثي، ففقدت الذات قيمتها الكبرى وأصبحت "كالذرة ملقاة في حركة عبثية، ولهذا فهو يعلن عن وضعية ما بعد حداثية يكون فيها الإفلاس للكوني وكل الآمال التحرر التي وضعت في النماذج السياسية –التربوية بعد أن ثبت، وحشيات القرن العشرين على الواقعي ليس دوما عقلانيا كما اعتقد هيغل

(...)كما أن الديمقراطية التي تبقى أهم هذه الحكايات الكبرى يمكنها أن تعود إلى ما هو ضد مبادئها نفسها (فهتلر انتخب بشكل غير ديمقراطي)".(ليوتار، 2016، ص 20)

هشاشة هذه القيم وأفولها إنما هي علامة بارزة على وجود تماسف بين ما هو نظري وما هو عملي فواقع الممارسات المعاصرة داخل المجتمعات يفضح زيف هذه القيم ويزيل عنها قناعها الأسطوري وخير دليل الحملات العسكرية التي قامت بها الدول الأوربية معتقدة أن الانسان الأوربي يمثل نموذج الإنسانية الراقي الحامل للحضارة وما على الدول الأخرى الانصياع والخضوع له سواء طوعا أو كرها، وهذا ما تجلى بشكل واضح مع رسالة الرجل الأبيض يقول:" وتضح أن أفق استعمار الأراضي مترامية الأطراف هو باعث قوي على فكرة التنوير الذي تقوم به الثقافة وأضفى على رسالة الرعوية بعدا جديدا تماما وعالميا. ففي صورة مرآوية لفكرة تنوير الشعب، تشكّل مفهوم رسالة "الرجل الأبيض "وعن انقاذ البرابرة من حالتهم البربرية". (باومان، 2018، ص 17)

وهكذا يخلص "باومان" إلى جانب المفكر الفرنسي "ادغار موران" بأن منظومة قيم الحداثة الغربية قد انقلبت على عقبيها، وانتهت إلى خيبة أمل لم تكن في الحسبان ولهذا حكم عليها بالفشل كونها انتهت إلى أزمات شاملة وبما ستقوم المركبة الفضائية إلى الهلاك والموت يقول موران: "بيد أن أزمة الحضارة الغربية فيما يخص المجتمعات الغربية أزمة الثقافة وأزمة القيم وأزمة العائلة ...هي جوانب متعددة لكيان مجتمعاتنا الغربية الذي يبدو كيانا مأزوما." (موران، 2009، ص 25)

2. الهولوكوست والأزمة الأخلاقية

إلى جانب ما أشار إليه الفلاسفة في حديثهم عن أزمة الحداثة الغربية يتحدث كذلك "باومان" عن هذه الأزمة ويركز حديثه عن الأزمة الأخلاقية، هذه الأخيرة التي تتجذر في الوعي الحداثي وخصوصا لما انتقلت السيادة من إله إلى الإنسان وصار الإنسان بديل عن الإله، وبهذا "فقدت بدلت الحداثة وسوسيولوجيتها موقعي الإنسان والأخلاق داخل نظام المعرفة الكونية، وبالتالي فقد انتزعت الإنسان من التاريخ ونصبته إلها زائفا خارجه، واسقطت الأخلاق داخل التاريخ ففقدت فاعليتها " (باومان، 2014، ص 16) فتحييد الأخلاق وفصلها عن دائرة الفعل الإنساني داخل نظام الدولة الحديثة جعلها تنتهي إلى كوارث أخلاقية تضاهي الكوارث الطبيعية، وهذا نظرا لاحتكام العقل الحداثي لمعيار الأداتية

والفاعلية الآلية كما خططت له السلطة البيروقراطية، وبالتالي لم يعد هذا العقل يميز بين الخير والشر والحسن والقبح وهذا لكونه مبني على قاعدتين كما يرى ذلك باومان وهما ": (باومان، 2017، ص 123)

-**القاعدة الأولى: فهي** الاتجاه نحو تحييد الفعل الاجتماعي وإخراجه من القانون الأخلاقي وذلك بالتهوين من أهمية المعايير الأخلاقية.

-**القاعدة الثانية:** تجريد النفس البشرية الفردية من المسؤولية الأخلاقية عن تبعات أفعالها.

وفقا لهاتين القاعدتين تم تجريد الفعل الإنساني من أية فاعلية أخلاقية وهذا ما أفقد الفعل حسه الأخلاقي لينتهي به الأمر إلى عمى أخلاقي كما يقول باومان في كتابه "العمى الأخلاقي"، وبالتالي فلا غرابة من أن ينجر عن ذلك ممارسات شنيعة في حق الإنسانية ويسرد باومان مع زوجته "جنينا باومان" تجربة ما تعرضوا له من أشد أنواع المعاناة والحرمان والاضطهاد والظلم، نتيجة حملة معادة السامية "فقد طرد ومعه أستاذ يهودي آخر في عام 1968م من جامعة برشوفا وأبعد خارج بولندا ليذهب لجامعة الكين في تل أبيب لفترة قصيرة، انتقل بعدها لإنجلترا عام 1971، ليترأس هنالك قسم علم الاجتماع في جامعة ليدز حتى تقاعده في عام 1990" (باومان، 2017، ص 03) وبهذا فقد عاش "باومان" مهاجرا بعيدا عن أرضه الأصلي بولندا.

وإلى جانب هذا يتحدث باومان عن الهولوكوست محاولا استنطاق المسكوت عنه في أرشيفات العقل الغربي، ليبين مظاهر الظلم والعنف داخل الأنموذج الحداثي الغربي، ويدحض في مقابل الأسطورة الحضارية السائدة للنظرة الثقافية المعاصرة التي تقوم على أن الحضارة الغربية: "قصة ارتقاء الإنسان من عالم البربرية إلى عالم العقلانية والتطور الأخلاقي (...)بل يؤكد أن الهولوكوست توافقت مع الحداثة الغربية وعقلانيتها وتقديسها للعلم والقانون والنظام". (باومان، 2014، ص25)

فالعقل التوليتاري الكلاياني الذي انتجته الحداثة الغربية أضفى إلى مذابح إنسانية، وبهذا الشأن تتحدث "حنة أرندت" Hannah Arendt (1906-1975) عن الأنظمة الشمولية باعتبارها الوحش الحداثي الأكبر والتي تروم إلى تحويل الفرد كالدمة في يد

السلطة تؤطره كما تشاء وتقضي على أية حركة عفوية بشرية تقول: "بأن السلطة كما ترتئيها التوليتارية تكمن بالأخص في القوة التي تنتجها النظم." (أرندت، 2016، ص 122).

فالنظم الشمولية التي سادت في القرن العشرين النازية والستالينية اطلقت العنان لتوجه الدولة السيادي وفرض هيمنتها وقوتها على الأفراد لتمنع بذلك أية محاولة تجاوزية يقول باومان: "كانت أوشفتز وكوليما [2] مختبرات أجريت فيها الأبحاث والتجارب التطبيقية على الحدود التي تصل إليها الغالبية البشرية لانصياع والأهم من ذلك أكثر الوسائل نجاعة في تطهير المجتمع من تلوثاته الفوضوية المتسببة في الضبابية" (باومان، 2016، ص 122) فالتاريخ يشهد على حجم الجرائم التي ارتكبت في حق الجماعة البشرية وهذا لاعتبارها لا تنسجم مع نظام الدولة.

ويرجع "موران" السبب الرئيسي خلف هذه الممارسات اللاأخلاقية في حق البشرية إلى انفصال العلم عن القيمة ثم عن الأخلاق، وهذا ما كشف عليه في حواره مع طارق رمضان يقول:"إن العلوم الغربية التي عرفت ازدهارا ملحوظا منذ القرن السابع عشر كانت تبنى مبدأ أساسيا يتعلق بفصل أحكام الواقع عن أحكام القيمية، لقد عطلت العلوم الجمع بين الأخلاق والسياسية." (موران، رمضان، 2016، ص 48)

وقد تعزز هذا الفصل أكثر مع التقدم التاريخي للعلم وتطور التكنولوجيا أين صاحب ذلك ارتدادات بربرية تمثلت في انتاج أسلحة فتاكة بالإنسانية خاصة "مع القرن العشرين، مع انتاج الأسلحة النووية، والعمليات الجينية التي تعتبر أكثر المنتجات للمعرفة، إن ما اعتبرناه مزيا يقدمها العلم للإنسانية أصبحت أمورا يعتريها النقص والخلل" (موران، 2016، ص 49) وأسفر عن هذا كوراث أخلاقية شملت كل نواحي الحياة البشرية ايكولوجية طبية واجتماعية ...مما سيقود مستقبلا المركبة الفضائية نحو حافة الهاوية والكارثة .أو سيؤدي الى هولوكوست جديد على حد تعبير زيجمونت باومان.

3. الأخلاق والاستهلاك

إن ما انتهت إليه المنظومة الحداثية من واقع إنساني مأزوم مشتت ومتشظي دون نقطة ارتكازية يستند عليه إنسان الحداثة السائلة، جعل أغلب المفكرين يعلنون عن مرحلة

2. معسكران نازيان للاعتقال والابادة.

ثانية للحداثة تعرف بما بعد الحداثة ويطلق عليها باومان مصطلح الحداثة السائلة[3] التي "تشير إلى الحالة المعاصرة لمجتمعنا الإنساني مع كل التحولات التي طالت أوجه الحياة فيه بطريقة غير مسبوقة: الحب، المجتمع، السياسية، السلطة ..." (باومان، بلاك، كيني وآخرون 2017، ص 13) وهذا يعني أنه لا وجود لشيء إلا وقد تسللت إليه السيولة الجارفة.

فمصطلح السيولة ما هو إلا توصيف يتوافق مع الوقت الراهن وقد استخدمها باومان "كاستعارة للمرحلة الحالية للحداثة لأن السوائل تبرز الهشاشة والقابلية للانكسار". (باومان بتلر لاش وآخرون، 2014، ص 49)

فمواصفات المواد الصلبة على السائلة أنها تتغير باستمرار ولا تحافظ على سمة التماسك بين مكوناتها في حالة السكون فهي تبقى في حالة التغيير المستمر يقول باومان :"إنها تجري، وتنسكب، و"تنساب"، و"تتناثر"، و" تتسرب "، و"ترذ "و "تتقطر "و "تنز "و "تسيل" فلا يسهل ايقافها كما هي الحال مع المواد الصلبة " (باومان، 2016، ص42) ويعني ذلك أن التغيير المستمر ينذر بأفول أسطورة الثبات بحيث يصبح كل شيء مرن وذو خفة مذهلة بحيث يسهل تغييره بسرعة مذهلة وبهذا فالحديث عن السيولة أشبه ما يكون بالحديث عن" لقطة فتوغرافية تحتاج الى تاريخ أسفل الصورة. " (باومان، 2016، ص 42)

فهذا التغيير سيقود إنسان ما بعد الحداثة نحو مزيد من السرعة والسيولة المستمرة وخاصة مع التقدم التكنولوجي الهائل وتنامي سرعة السوق وظهور الكوخ الإلكتروني، مما يجعل الكينونة البشرية كينونة استهلاكية تتعاطى مع الانسان والأشياء تعاطي سلعي مقرون بتاريخ نهاية الصلاحية ومعلق عليه "حتى شعار آخر" يقول باومان :"إن الحياة المتمركزة حول الاستهلاك فلابد من أن تستغني عن القواعد والضوابط، إنها تهتدي بهدي الإغراء، والرغبات المتزايدة والأماني المتقلبة على الدوام فلم تعد تهتدي بهدي الضبط الذي تحكمه القواعد، وما من نموذج مثالي محدد" (باومان، 2016، ص 131) وهذا يعني أن التغيير صار هو الثبات الوحيد في المجتمعات الاستهلاكية اليوم.

3 - يستعمل زيجمونت باومان مصطلح "الحداثة السائلة" كإشارة الى التغيير الدائم للوضع الراهن، أين تسيل جميع القيم والروابط والعلاقات ...فلا وجود لأساس ثابت يقف عليه إنسان الحداثة السائلة، وفي المقابل يستعمل مصطلح "الحداثة الصلبة" كإشارة إلى الحداثة في مراحلها الأولى التي تهدف إلى اعتماد العقلانية بغية الوصول الى عالم مثالي قائم على أسس ثابت صلب.

فالعالم اليوم كما يراه باومان يعيش أزمة أخلاقية نتيجة تصاعد النزعات المادية المتغولة في اللذة والشهوة وقيم الاستهلاك الفوري، وهذا ما أفرز لنا قيم عارية متنصلة من أي رابط روحي ميتافيزيقي، لأنها جعلت من الاستهلاك ديدنها الوحيد، وبهذا انحرفت كل القيم عن مسارها الأول وتبدلت عن مدلولاتها الأصلية ودخلت حيز السيولة والبحث عن السعادة الفورية والإشباع الآني، وهذا لكون مجتمع المستهلكين قائم على أساس وعد بإشباع الرغبات، وبالتالي تكون الدورة الحقيقية للمجتمع الاستهلاكي قائمة على الحفاظ على استمرار الاقتصاد وتتلخص في مقولة :"اشتر استعمل، ارم" (باومان، 2016، ص199) فما تستعمله مرة لا يعيد تكراره مستقبلا .

وفي تقدير التحليل فإن المجتمع الحديث السائل مجتمع النفايات بالدرجة الأولى، لأنه يستهلك بشكل متواصل فهو مجتمع البدايات الجديدة الذي يتلخص من كل الأشياء التي لا تتوافق مع موضة العصر، فالمجتمع المتمركز على الاستهلاك لا يعرف إلا السرعة والحركة والاسراف والتبذير ..ولهذا يرى باومان أن ما بعد الحداثة لها" قدرة تدميرية قائمة على الاستهلاك التام والتقويض التام، والتفكيك التام لكل ما هو قائم، وبالتالي فهي لا تسعى لإحلال نموذج للحياة محل آخر، إنها تعد نفسها لحياة بدون حقائق ومعايير " (كليجز بيرك؛ دورسون وآخرون، 2018، ص 42) فلاوجود لحقائق كلية ثابتة وحتى لقيم أخلاقية صلبة دائمة بل كل ما هنالك إلا صيرورة وسيولة متواصلة. .

وبالفعل فإن الثقافة السائدة في المجتمع المعاصر ثقافة استهلاكية، وهي الصورة الجديدة التي تطبع المنظومة القيمية المعاصرة، فهذه القيم تتربع في أساسها على الكسب والربح والمنفعة التي تروج لها وسائل الاعلام وفي هذا الصدد يقلب الناقد الثقافي فايجل واطسون المقولة الديكارتية الشهيرة :"أنا أفكر إذن أنا موجود والتي شكلت الأساس الذي قامت عليه الحداثة الفكرية والفلسفية في الغرب إلى أنا اتسوق إذن انا موجود " (الطائي، 2014، ص 40-41) ويعني ذلك أن السعلة هي مركز الكون ومعبد الإنسان الراهن، فبعدما كان الإنسان مركز الكون كما خططت له الفلسفة الهيومانية صارت السلعة اليوم مركزا يتعبد الإنسان في محرابها، وبهذا أفرغ الانسان من معناه الروحي وصار دلا بلا مدلول، وتمكنت النزعة الاستهلاكية من تحويله إلى :"سوق بلا قرار يمكن أن تلقى به بالسلع وكلما زادت عجلة الإنتاج في الدوران، وقف الإنسان، لا في مركز الكون كما هو الحال مع

الفلسفات الإنسانية وإنما مثل الثقوب سوداء في الفضاء والتي تمتص كل شيء وينعدم فيها المكان والزمان " (المسيري، 2006، 42)

ويشير هنا المسيري إلى أن هذه النتيجة التي صلنا إليها اليوم ما هي إلا نتيجة إفرازات المنظومة الحداثية التي استخدمت العلم والعقل والتقنية استخداما خارج عن أي نطاق إنساني وأخلاقي يقول في هذا:"في هذا الإطار أصبح العالم منفصلا عن القيمة بمعنى أنه لا يوجد معايير إنسانية أو أخلاقية أو دينية، بحيث يصبح التميز بين العدل، والظلم وبين الحق، والباطل بل القبح، والجميل " (المسيري، 2013، ص 175) وبهذا يصبح كل شيء في نسبوية وسيولة شاملة وتصبح كل الدوال تتراقص دون مدلولات.

وهنا يوضح جان بودريان Jean Baudrillard (1929-2007) في قراءته للمجتمعات الراهنة بأنها ترتبط بالدوال أكثر من المدلولات، وسيطرة الصورة أو التلاعب بالرموز، وبهذا يكون المجتمع الراهن "مجتمع الصورة الزائفة بعيدا عن أية إشارة إلى الواقع " (بروكر، 1995، ص 254) فمظاهر الزيف التي تغلف الحياة المعاصرة مردها إلى النزعة الاستهلاكية التي تحتكر حقيقة الواقع وتظهره بخلاف ما هو موجود، وبهذا تتحول القيم والمعايير إلى قيم ومعايير استهلاكية تتحكم فيها مؤسسات الإعلام والاتصال وبهذا تتغير وظيفة وسائل الإعلام بحيث لم تعد تنقل لنا إلا العلامات والرموز، وبذلك تصنع واقعا آخر بديلا عن الواقع الحقيقي، وتكشف تحليلات "بودريار" أن المجتمع الاستهلاكي "يقوم بإحلال العلامات محل بعضها البعض ويستبدل رموز بأخرى وذلك في ظل غياب الواقع الحقيقي، الذي يجعل الانسان يغرق في ظل عالم آخر افتراضي " (ادريس، 2018، ص126)

بناء على هذا يرى "باومان" أن التكنولوجيا التي صنعها الإنسان أصبحت اليوم تهدد مستقبله كونها تحولت إلى قوة دفع ذاتي أقوى مع كل خطوة يخطوها الإنسان، وهذا لاعتبار أنها توفر للإنسان المهدئات والمسكنات الأخلاقية بحيث تفقد الفعل الإنساني الفاعلية الأخلاقية وتصبه بعمى أخلاقي يقول في هذا الصدد: "إنها توفر مخارج مختصرة ظاهرية للبواعث الأخلاقية، وحلولا سريعة عابرة للمعضلات الأخلاقية، بينما تريح الفاعلين من المسؤولية عن كل ذلك، وهي بذلك تحول تلك المسؤولية إلى أدوات التقنية، وعلى المدى البعيد "تجرد" الفاعلين من "المهارات الأخلاقية "وتخدر ضميرهم الأخلاقي، وتغرس اللامبالاة تجاه التأثير الكامل للتحديات الأخلاقية ؛ وهي بوجه عام تجرد

الفاعلين من أسلحتهم الأخلاقية ومن الإقدام على الاختبارات الصعبة تتطلب قدرا من إنكار الذات. " (باومان، 2017، ص 126)

وفي تقدير التحليل فإن التكنولوجيا المعاصرة متحررة في أزمنتنا السائلة تتحول إلى صنم يعبد وتخدر الضمير الأخلاقي للفرد فيفقد بذلك الفرد شعوره بالذنب فيما يقوم به، وهذا هو العمى الأخلاقي بعينه، وفقدان الحساسية الأخلاقية ونتيجة ذلك حدوث كوارث إنسانية لا أخلاقية يقول في عبارة دقيقة: "فالثمن الذي سيدفع لتلك المسكنات الأخلاقية هو نقل الأمر الأخلاقي إلى مجال "المجهول الأعظم" حيث تتولد الكوارث التي تتجاوز قدرة البشر على التنبؤ بها وصدها ". (باومان، 2017، ص127)

ويبين "باومان" في كتابه "العمى الأخلاقي" Moral Blindness أن فقدان الحساسية الأخلاقية في عالم الحداثة السائلة، إنما هو نوع من السلوك القاسي عديم الرحمة، أو هو عبارة عن وضعية اجتماعية لامبالية تجاه تجارب الآخرين ومحنتهم فعدم الحساسية ؛هي صورة مجازية استعارها باومان من مجال الظواهر التشريحية والفيزيولوجية التي تعادل معناه الأساسي هو "خلل في بعض عمل الأعضاء سواء البصرية، السمعية، الشمية، اللمسية، وبالتالي تفقد هذه الأعضاء إدراك المنبهات كما في الظروف الطبيعية، وفي بعض الأحيان تفقد الحساسية العضوية نتيجة المسكنات الطبية بحيث تجعلها غير حساسة للألم على المدى الطويل، وهكذا يتم نقل عدم الإحساس من الظواهر العضوية إلى العلاقات بين البشر، فتعطل التفاعلات البشرية التي تدافع عن النفس الجماعية فتصير النفس سطحية واهنة"(Zygmunt Bauman , Leonidas Donskis, 2013, p 13-14) في منأى عن أي رابط أخلاقي.

4. قيمة الحب من الصلابة إلى السيولة

إن السيولة الجارفة التي انتهت إليها المجتمعات المعاصرة قضت على المفاهيم والقيم الصلبة الثابتة بما في ذلك أعظم قيمة أخلاقية تجمع البشرية ألا وهي قيمة "الحب"، فالحب اليوم لم يعد محكوم برابط الإلزام والأبدية والثبات، بل صار في سيولة دائمة مكتوب على ظهره عبارة بخط غليظ "تاريخ انتهاء الصلاحية " "حتى شعار آخر"، وهذا علان عن موت أسطورة الإيروس 'إله الحب' فالحب بمعناه الرومنتيكي قد مات يقول باومان :"لقد انقضى عهد الحب الرومانتيكي القائم على مقولة : "تعاهدنا على ألا يفرقنا الا الموت " لقد انتهى تاريخ صلاحية هذا التعريف الرومانتيكي بسبب التفكيك الجذري لأبنية القرابة التي كانت تدعمه، وكان يستمد منها قوته وحيويته وأهميته الخاصة " (باومان، 2016، ص 39)

وهذا ما أشار إليه كذلك إريك فروم Erich Fromm (1900-1980) لما أصيب بورم في قلبه، اهتدى على إثره بأهمية الحب بالنسبة إلى الكائن الإنساني الحي ولكن في ظل عالم الرقمنة وسيادة منطق المتلازمة الاستهلاكية، وجد أن مقولة الحب بدأت "تندثر شيئا فشيئا في عالم أصبح الرقم فيه علامة على التقدم (فروم، 2016، ص26) فهذا الاندثار أرجعه إلى سيطرت مبدأ اقتصاد السوق كمبدأ بنوي جديد، فالسوق هو الذي يعطي للحياة معنى من خلال ما يحققه من ربح مادي ونجاح ملازم له يقول: "فمن وجهة نظر سيكولوجية فإن مبدأ توجيه السوق يعني بأن الوجود الخاص لإنسان ما، يعني امكانياته، ومهاراته الفعلية وحاجياته ومشاعره وأفكاره ليست مهمة، بل المهم هو ما يمكن تسويقه وما يعجب، وما هو معلب بطريقة ذكية "(فروم، 2016، ص 28-29). وبهذا تتهاوى كل الأقانيم الكلاسيكية في تعريفاتها للحب.

وعلى هذا يصبح الحب كالسلعة تماما في ظل الثقافة الاستهلاكية التي تشجع المنتجات المعدة للاستخدام الفوري والسريع فالوعد الذي قطعته الثقافة الاستهلاكية على نفسها يتمثل في جعل تجربة الحب كما يرى باومان على شاكلة السلع الأخرى التي تفتن وتغوي بالتلويح بكل الملامح، وتعد بأن تنزع الانتظار عما نرغب فيه والعرق من الجهد، والجهد من النتائج يقول :"فعلاقة الحب، مثل السلع الاستهلاكية الأخرى تتطلب الاستهلاك الفوري (فلا تحتاج إلى تدريب إضافي، ولا إعداد طويل)،و الاستعمال مرة واحدة "من دون أسف" ؛إنها، في المقام الأول والأخير غير قابلة لإعادة الاستعمال". (باومان، 2016، ص 47)

إذن، ينتج عن ذلك انسلاخ الحب من قيمه الأخلاقية وبعده الإنساني واخضاعه لمنطق الاستهلاك لتكون علاقة الحب علاقة مؤقتة عابرة لا تدوم لوقت طويل بل سرعان ما تنتهي بمجرد زوال بمجرد تغيير الظروف وعلى هذا لا بد أن يكون الانسان حريصا على ترك مسافة قريبة بينه وبين سلة المهملات لرمي النفايات البشرية فيها يقول باومان :"و عندما يدرك المستهلك أن السلع التي اشتراها معيبة أو غير مرضية يمكنه استبدالها والحصول على سلع أخرى أكثر إرضاء، حتى وإن لم توفر خدمة ما بعد البيع ولا ضمانات استرداد النقود المدفوعة، ولكن إذا أوفت هذه السلع بوعودها، ليس من المتوقع أن تظل قيد الاستعمال زمنا طويلا " (باومان، 2016، ص 47-48)

فتشيء الحب وتقليص جوانب المعنى فيه ساهم في انبثاق جوانية مادية وراجع ذلك إلى الخواء الباطني الذي يعيشه إنسان اليوم ويظهر ذلك في عبارة دقيقة ورصينة لزيجمونت باومان وهي "تمدية الحب" أي جعل الحب لا يتجاوز سقفه المادي والقضاء على كل روح متعالية فيه، وهذا من منطلق كوننا نعيش في عالم معولم من المستهلكين، وهذا انعكس سلبا على علاقتنا بما في ذلك الأسرية "فالناس اليوم لكثرة انشغالاتهم المتزايدة والتي لا تنقطع عن البحث عن رؤوس الأموال، وأشياء يعتقدون أنها ضرورية لبلوغ السعادة فهم يعملون طوال اليوم، ويلجؤون للعمل لساعات إضافية، ويعوضون غيابهم عن البيت بهدايا تكلف المال، يقمون بتمدية الحب ". (باومان، 2017، ص 87)

فتراجع الخطاب الروحي لقيمة الحب جعل الآلية تحل محلها، فانعكس ذلك سلبا على الإنسان في علاقته مع ذاته والآخرين وهذا ما أكد عليه ماكس هوركهايمر Max Horkheimer (1895-1973) وثيودور أدرنو Theodor W. Adorno (1903-1969)في كتابهما المشترك جدل التنوير: "فمع تشيؤ العقل تصبح العلاقات بين الناس وعلاقة الانسان بذاته بمثابة علاقات مسعورة، إن القرب الذابل يصبح نقطة ردات الفعل والسلوكات المنتظرة منه عمليا، أعطت الإحيائية روحا للشيء، أما الانتماء للصناعة فقد حول روح الإنسان إلى شيء " .(هوركهيامر، أدرنو، 2006، ص 50)

5. عودة الاخلاق كمخرج من السيولة الاستهلاكية

إذا كان "نيتشه فردريك" قد أعلن عن موت الإله وانقلاب القيم الحداثية إلى قيم وضيعة واهنة، فإن الفلسفة المعاصرة تعلن عن موت الإنسان في الفكر ما بعد الحداثي، وهذا ما أشار إليه "عبد الرزاق الدواي" في كتابه موت الانسان في الخطاب المعاصر إذ يشر إلى "أن هنالك جملة من الفلاسفة والمفكرين شكلوا تيارا فلسفيا عرف في الفلسفة المعاصر بتيار موت الإنسان وهو خطاب ينذر بفشل مشروع الحداثة الغربية برمته وتصدع جميع الأسس والقيم التي بنى عليها الإنسان كوعي وارادة العقل والعقلانية المتطورة والتاريخ والتقدم والإمكانيات الواقعية للتحرر." (الدواي، ص 06)

ليؤول الوضع الراهني إلى العبثية والتشظي والفوضى، هذا ما جعل "باومان" يبدي قلقه الشديد إزاء الوضع الراهن محاولا منه انقاض البشرية وانتشالها من عالم افتقد إلى معاني إنسانية، وهنا نجده يشدد على ضرورة التشبث بالقيم الأخلاقية المفعمة بخطاب التآلف والتراحم والغنية بأخلاق العاطفة والحب وبهذا فقط تحقق إنسانية الانسان "فالعالم ليس إنسانيا لمجرد أنه مكون من بشر، ولا يصبح انسانيا لمجرد أن الصوت الإنساني يتردد في أرجائه، لكنه يصبح كذلك فقط حينما يغدو موضوعا للخطاب والحوار ...إننا نضفي الإنسانية على ما يحدث في العالم وعلى ما يحدث داخلنا بالحديث عنه فقط وأثناء الحديث عنه نصبح بشرا، أطلق الإغريق على تلك الحالة الإنسانية التي نصل إليها عن طريق خطاب الصداقة تعبير "حب البشر" لأنها تجسد نفسها في استعداد منا لإقتسام العالم مع البشر آخرين ". (باومان، 2004، ص 233)

فعودة القيم الأخلاقية الروحية المفعمة بخطاب المحبة والألفة، يجعل العالم أكثر مضيافا للإنسانية وأكثر تشاركا معها فالإنسانية هي الأفق الذي تتعايش فيها الذوات ولا سبيل لإحيائها في الوضع الراهن كما يقول "باومان" إلا بعودة القيم الدينية التي تعزز الجوانب الإنسانية، ولهذا نجد "باومان" يستلهم من النص الديني (التلموذ) مقولة :"احبب جارك كما تحب نفسك" يقول :"إن الامتثال لمقولة حب الجار هو ميلاد لإنسانية، وماعدا ذلك فمجرد تفاصيل قائمة أو مستجدة (غير كاملة أبدا) للتعايش الإنساني (..)و ربما يتطلب حب الجار قفزة إيمانية، لكن النتيجة هي ميلاد البشرية، وهو الانتقال المقدر من غريزة البقاء إلى الأخلاق إنه انتقال يجعل من الأخلاق جزأ من البقاء،

وربما شرطا لا غنى منه من أجل البقاء، فيصبح بقاء إنسان ما بهذا المكون(الفطرة)، بقاء الإنسانية في الانسان " (باومان، 2016، ص 118) وهذا يعني ضرورة عودة المقدس إلى الخطاب المعاصر فهو الكفيل لوضع حد للكوارث اللاأخلاقية.

خاتمة

بناء على ما سبق نخلص إلى القول بأن سؤال الأخلاق هو سؤال الإنسان ذاته، ومن هنا تغدو أهميته داخل الخطاب المعاصر فرغم ما حققته التكنولوجيا من مهدئات أخلاقية لقتل الضمير الأخلاقي واضعاف الحس الإنساني بفعل المتلازمة الاستهلاكية وتصاعد النزعات المادية المتغولة في اللذة، لذة تتبع لذة في محصول لا نهائي من عالم اللذات، وهذا ما ينذر بخطر محدق بالذات البشرية، على الإنسان أن يتذكر إنسانيته المسلوبة كما يرى "باومان" التي طمستها المنظومة الاستهلاكية وشيئتها ناهيك على أنها أبعدت عنه القيم الأخلاقية المفعمة بالقيم الروحية واستبدلتها بقيم تجارية استهلاكية، فقط حينها تستمد القيم الأخلاقية معانيها ومدلولاتها فمادام الإنسان موجود فالأمل موجود، ويشكل عنصر ضمني لنسيج الحياة ولدينامية الروح كما يقول إريك فروم وهذا الأمل لا يمكن أن يقوم إلا إذا ارتبط بالجوهر الإنساني ويقصد بذلك(المشاعر والوعي)، ومن هنا تتحقق كينونة الانسان ويستعيد وجوده الأصيل على حد تعبير مارتن هيدجر، فالمنظومة الاستهلاكية التي انتهت إليها المجتمعات المعاصرة لم تزودنا إلا بأخلاق زائفة، ولهذا فالوجود الإتيقي للأخلاق مرتبط بروح الإنسان باعتبار هذا الأخير قبس من النور الرباني، الذي يضفى معنا على الحياة الإنسانية.

المراجع

1. باومان زيجمونت، بوردوني كارلو، 2018. حالة الأزمة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية، بيروت.
2. باومان زيجمونت، 2016. الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ترجمة: سعد البازعي وبثينة إبراهيم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة.
3. باومان زيجمونت، 2004. العلاقات في زمن الاستهلاك إنسان بلاروابط، تر: فاطمة نصر إصدارات سطور، القاهرة.
4. باومان زيجمونت، 2014. الحداثة والهولوكوست، تر:حجاج أبو جبر، دنيا رمضان، مدارات للأبحاث والنشر، قاهرة .
5. باومان زيجمونت، 2016. الحب السائل، تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية، بيروت.

6. باومان زيجمونت، 2017. الخوف السائل، تر:حجاج أبو جبر، الشبكة العربية، بيروت.
7. باومان زيجمونت، 2018. الثقافة السائلة، تر:حجاج أبو جبر الشبكة العربية، بيروت.
8. باومان زيجمونت، بتلر جوديث، لاش سكوت وآخرون، 2014. مستقبل النظرية الاجتماعية حوارات نقولا جين، تر:يسرى عبد الحميد أرسلان، المركز القومي للترجمة، قاهرة .
9. باومان زيجمونت، بلاك شميم، كيني فيليب وآخرون، 2017. قوة الكلمات حوارات وأفكار، ترجمة: لطيفية الدليمي، دار المدى، بيروت.
10. باومان زيجمونت باومان، 2017. أبو الحداثة السائلة زيجمونت باومان، ترجمة: مجموعة من المترجمين، كتاب جيل جديد.
11. باومان زيجمونت، 2016. الحداثة السائلة، تر:حجاج أبو جبر، الشبكة العربية، بيروت.
12. أرندت حنة، 2016. أسس التوليتارية تر:أنطوان أبو زيد، دار الساقي، بيروت
13. بروكر بيتر، 1995. الحداثة وما بعد الحداثة، تر:عبد الوهاب علوب، منشورات المجتمع الثقافي، أبوظبي .
14. الطائي معن، 2014. السرديات المضادة بحث في طبيعة التحولات الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر المركز الرئيسي، بيروت.
15. عبد الرزاق الداوي، (د،ت). موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت .
16. عبد الله إدريس سوزان، 2018. لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار، منشورات الاختلاف، الجزائر.
17. فروم إريك، 2016. حب الحياة نصوص مختارة، تر:حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت .
18. فيري لوك بالتعاون مع كبلياي كلود، 2015. أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ترجمة: محمود بن جماعة، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان.
19. كليجز ماري، بيرك ماري، دورسون أريك وآخرون، 2018. ما بعد الحداثة دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب، ترجمة: حارث محمد حسن وباسم علي خرسان، دار الروافد الثقافية، ناشرون، بيروت.
20. ليوتار جان فرانسوا، 2016. في معنى ما بعد الحداثة نصوص مختارة في الفلسفة والفن، تر:السعيد لبيب، المركز الثقافي العربي، المغرب .
21. المسيري عبد الوهاب، 2013. العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير، سوزان حرفي.
22. المسيري عبد الوهاب، 2006. دراسات في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، قاهرة.
23. موران ادغار ورمضان طارق، 2016. خطورة الأفكار تساؤلات حول قضايا الكبرى المعاصرة، ترجمة: محمد صلاح شياظمي، إفريقيا الشرق، المغرب.

24. موران إدغار، 2009. إلى أين يسير العالم ؟،ترجمة: عبد الرحيم حزل، الدار العربية، ناشرون، بيروت.
25. هابرماس يورغن، (د،ت). القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق.
26. هوركهايمر ماكس، أدرنو ثيودور، 2006. جدل التنوير، شذرات فلسفية، ترجمة: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد، بيروت.
27. Bauman Zygmunt; Leonidas Donskis, 2013. *The Loss of Sensitivity in liquid Modernity*, polity press.